قدوة النساء في الإيمان

ويتضمن المواضيع التالية:

- آسية في بلاط فرعون.
- مؤمنتان في القصر.

obeikandl.com

قدوة النساء في الإيمان
آسية بنت مزاحم زوجة فرعون

قصة آسية بنت مزاحم

هذه المرأة البطلة زوجة فرعون

إنها باعت الملك.. وباعت القصور... وباعت الحياة وكل هذا من أجل من؟ من أجل حبها لله... وإيمانها به...

امرأة تتباهى بها الرجال والنساء، وهي امرأة من أفضل أربع نساء في الجنة... كما ورد عن نبينا محمد ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم**»[1].

إنه لفخر لكل نساء الكون عندما تقع على أسماعهم قصة هذه البطلة التي ضرب الله بها مثلاً في كتابه العزيز، إنه انتصار للمرأة، فَضَّلت الآخرة على الدنيا، وضحَّت بالنعيم الذي كانت ترفل فيه وتحيط بها الجواري وسط القصور... والمنتزهات التي بناها لها ـ أكبر طاغية على مر العصور ـ بناها على شاطىء

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 84) والطبراني والحاكم في «المستدرك» (الحديث: 2/ 497)، وصححه عن ابن عباس .. كما في الدر المنثور للسيوطي مجلد: 6، ص: 246.

النيل ووسط ذلك الترف والبذخ كانت تقضي آسية أيامها ولياليها على طريق الملوك والأباطرة.. ولكنها ضحت بكل هذا وذاك.

هذه هي المرأة التي سطرت بطولتها آيات الذكر الحكيم لتكون أُمثولة لنا وللعالم بمشرقها ومغربها، وهي القدوة التي وجد الله فيها خير نبراس لأجيال المؤمنين فصاغها الرحمٰن قرآناً: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: 11].

إن آسية هي حقاً قدوة للأجيال التي جاءت من بعدها، وضرب ببطولتها وإيمانها وأدبها المثل... وما ذاك إلّا ـ لأن المرأة قد عاشت لله تعالى....

صائنة لنفسها... حافظة لدينها... مخالفة لهواها... مطيعة لأمر مولاها...

وسأنقل للقارئ الكريم قصة آسية وماشطة عائلتها في بلاط فرعون نصاً ومن كتاب: «كلمات مضيئة مهداة للمرأة»، للمؤلف (الشيخ ناجي النجار) وأتصرف فيها بين حين وآخر بما يتلاءم مع موضوعي وهي كالآتي:

عاشت هذه الشابة في القصر الفرعوني وكانت الزوجة المدللة لفرعون وتحف بها الجواري وترفل في الحرير...

لقد بلغ بفرعون الغرور وادَّعى الأُلوهية، وفرض على شعبه

عبادته، وقد أصدر بذلك مرسوماً نقل لنا نصه القرآن: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 23-24].

آسية في بلاط فرعون

وتبدأ خيوط القصة يوم ظهرت «آسية بنت مزاحم» الشابة الناعمة ذات الجمال الخلاب والقوام الساحر... على المسرح الاجتماعي مع فرعون حين اختارها لتكون سيدة مصر الأولى!... وصعدت «آسية» إلى البلاط..

وراحت تعيش في القصر الإمبراطوري زوجة مدللة لفرعون تحف بها الجواري وترفل بالحرير.. وبيدها قلب أعتى رجل في البلاد وأطغاهم... «فرعون»! الطاغية الأكبر.. والجبار العنيد والذي بلغ به الغرور أن ادَّعى الربوبية وفرض على الشعب عبادته، وقد أصدر بذلك مرسوماً نقل لنا القرآن نصه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 23-24].

وقد نفَّذت أجهزة سلطته ذلك الأمر بالحديد والنار حتى خضع الناس ودانوا له بالعبودية وراحوا يؤدون إليه طقوس العبادة!.. وراح آلاف الأبرياء ضحايا ذلك الغرور والكفر!.. فلقد كان فرعون يسعى بنفسه إلى تصفية المعارضة جسدياً بواسطة التعذيب الوحشي الذي لم يعرف التاريخ له مثيلاً والذي كان فرعون يشهد بعض حفلاته الدموية بنفسه حتى اشتهر عنه كما في القرآن الكريم ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ [الفجر: 10].

حيث أنه ـ لعنه الله ـ كان يقوم باعتقال المعارضين ثم

يوتدهم في الأرض بواسطة أوتاد أربعة، يثبتها في أيديهم وأرجلهم وبعدها يبدأ بتمزيق أجسامهم وهم أحياء حتى يمشط اللحم من العظام بواسطة جهاز ذي أسنان حديدية حادة كالسكاكين..

ثم يرجع إلى قصره وكأن شيئاً لم يكن..

ولم تكن هذه كل أعمال فرعون.. وتجبّره فقط!

فكم استحيا من النساء.. وكم هتك من الأعراض..

وحتى الأطفال لم يسلموا من ظلمه وكفره وفساده!..

فكان نصيب الواحد لمجرد أن يلامس الهواء رئتيه حتى تتلاقفه السكاكين التي أعدها فرعون ليذبح بها حياته، وذلك لأنه رأى في منامه رؤيا فسَّرها له أهل التنجيم أن هلاكه وسقوط دولته سيتم على يد طفل يولد لبني إسرائيل فما كان منه إلّا أن أصدر أوامره إلى أجهزة الأمن بتعقيب كل طفل ينزل إلى الحياة ليحيلوه في الساعة التي يستهل بها وهو في حضن أمه جثة هامدة، لترجع روحه إلى بارئها تشكو إليه ظلم الإنسان وكفره وجحوده.. وقد طلبوا من كل قابلة ومولدة أن ترفع بياناً إلى السلطة بكل حامل من بني إسرائيل تلد ذكراً لتسارع حينها أجهزة القمع فتذبح الطفل وهو في حجر أمه بلا رأفة ولا شفقة ولا إنسانية!..

وأساليب الطغاة يعجز القلم عن تسطيرها، ويندى جبين التاريخ لذكرها، وتقشعر منها الأبدان لهول بشاعتها لأنهم ـ أي

الطغاة ـ فاقوا بأساليبهم الوحوش الكاسرة في غاباتها . . .

ومن تلك الأساليب التي ينقلها لنا التاريخ عن فرعون هذا أنه كان يأمر بقطع الحديد فتقطع ويصنع له منها شفار حادة «والشفار: السكين العريضة.. العظيمة» فيصف بعضها إلى بعض ثم يؤتى بالحبالى من النساء! . . فيوقفهن على تلك الشفار فتتمزق أقدامهن وتجري منها الدماء.. حتى أن المرأة منهن ـ كما يروي صاحب قصص الأنبياء ـ ليسقط جنينها فيقع بين رجليها فتظل تطأه لتتقي حد الشفار عن رجليها لما بلغ بها من جهد! . . وأما الرجال من أزواجهن فكانوا يقبعون في أقبية السجون والمعتقلات ويستخدمون في أعمال السخرة بلا أجر يرافق كل ذلك الاحتقار والازدراء والتعذيب ! . .

وهذه مشاهد لم نغال في وصفها من عندنا بل صورها القرآن الكريم لنا حين تحدث سبحانه في سورة القصص عن فرعون بقوله الكريم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: 4].

ومع هذا المفسد «فرعون» كانت تعيش «آسية بنت مزاحم»..

ترفل في النعيم وتحيط بها الجواري وسط القصور، . . والمنتزهات التي بناها فرعون على شاطئ النيل ووسط ذلك الترف والسرف والبذخ تقضي آسية أيامها ولياليها على طريقة

الملوك والأباطرة!، ولكن تشاء العناية الإلٰهية أن تنتشل آسية لما كانت تملك من قلب بر رحيم، فتنقذها من الجحيم الذي ينتظر فرعون في دنياه وآخرته وكان ذلك يوم دخل موسى النبي عليه السلام إلى القصر يعرض على فرعون الإيمان بالله وترك التجبر والجحود!..

وكان موسى عليه السلام نفسه قد تربى حتى شب في قصر فرعون منذ أن ألقاه اليمّ على الشاطئ الذي يحيط بقصر فرعون وكان موضوعاً في صندوق وهو رضيع، فأخذه الحرس الموكلون بحفظ الشواطئ المحيطة بالقصر وجاؤوا به إلى فرعون، وكانت إلى جانبه آسية وهما في شرفة من شرف القصر المطل على النيل.. ولما فتحوا الصندوق ووجدوا فيه ذلك الرضيع أراد فرعون أن يبطش به مخافة أن يكون هو الصبي الموعود.. ولكن آسية التي ألقى الله في قلبها حب موسى عليه السلام قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۝٩﴾ [القصص: 9].. فوافق فرعون.. وأخذته آسية عندها.. وظل موسى عليه السلام يترعرع في قصر فرعون..

حتى إذا كبر وشب... جاء الأمر إليه من الله ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾ [طه: 24].

وكيف يؤمن بالله من يقول الله تعالى عنه: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾!..

فازداد فرعون حين عرض موسى عليه السلام عليه الإيمان تجبراً.. وتعنتاً وكفراً..

أما آسية فقد تسرب الإيمان إلى قلبها كما يتسرب الماء حين يجد له مسرباً في الأرض، فآمنت بالله وصدقت برسالته.. ولكنها كتمت إسلامها.. ولم يطلع عليه أحد.. إذ كيف يمكنها أن تعلن عن إيمانها وهي تعيش في القصر مع أعتى طاغية وسفاك وكافر..

وهكذا أصبحت سيدة البلاد الأولى من المؤمنين بالله الكافرين بفرعون، المتبرأين من عمله وقومه الظالمين..

مؤمنتان في القصر

ولكن هل كانت (آسية) المرأة الوحيدة التي تؤمن بالله في القصر؟

الجواب: لا!..

فلم تكن آسية هي المرأة الوحيدة التي تعبد الله في قصر فرعون فقد كانت هنالك إلى جانبها امرأة أخرى تؤمن بالله وتكفر بفرعون، ولكنها لم تكن من سيدات القصر والبلاد كآسية!!..

بل كانت من العاملات في القصر.. تلك هي الماشطة!.. أو بتعبير النساء اليوم (الحلّاقة) والتي كانت مهمتها تصفيف الشعر لبنات فرعون وعمل التسريحات لهن وتزينهن، فكان القصر يضم في أروقته امرأتين مؤمنتين فقط آسية بنت مزاحم.. سيدة البلاد.. والحلاقة.. امرأة من خادمات القصر..

وكانت هذه الحلاقة أيضاً تتكتم على إسلامها وإيمانها بالله

كسيدتها؛ لأنها هي الأخرى تخشى بطش فرعون وجبروته!..

ولكن البطش والإرهاب لم يكن ليمنع الطاهرتين من الاجتماع سوية والالتقاء على صعيد الإيمان في ودٍّ وصفاء ومحبة وتحت ظلال العقيدة!..

فكانتا تلتقيان كلّما سنحت لهما الفرصة.. ويتناقشان في مسائل الدين بلا أي اهتمام للفارق الطبقي..

فكانت سيدة البلاد وزوجة الملك تزور الحلاقة وتجتمع بها.. وكانت الحلاقة تأنس بزوجة الملك وترتاح إليها.. وليس هذا غريباً في نظر الدين..

فحين تكون العلاقة.. علاقة حب في الله.. وأخوة في الدين.. فإن فوارق الدنيا حينذاك تذيبها حرارة الإيمان.. ويبقى جوهر الإنسان النقي...

وهذه بعض نعم الإيمان!..

ولكن برغم ذلك التكتم الشديد.. وتلك التقية الصارمة.. فقد شاءت الصدف في يوم من الأيام أن تسقط (المشطة) من يد الحلاقة وهي في إحدى صالونات القصر الفرعوني تجلس مع إحدى بنات فرعون تصفف لها شعرها.. فتناولت الحلاقة «المشطة» ورفعتها من الأرض قائلة:

بسم الله..

انتبهت الفتاة إلى قولها فاستفهمت:

أبي؟!..

لم تستطع الحلاقة في هذه المرة السيطرة على أعصابها وهي ترى أمامها بشراً وهبه الله العقل ليميز بين الحق والباطل.. فإذا بالإنسان يعطل عقله فلا يفرق بين الخالق والعبد.. ولا بين الحق وبين الزيف والباطل!..

فانفجرت الحلاقة بوجه بنت فرعون:

لا.. بل ربي وربك ورب أبيك!..

يا سبحان الله إن هذه المرأة الشجاعة التي لا تخشى في الله لومة لائم، ولا تخشى حتى من الموت الذي ينتظرها على يد زعيم الطغاة (فرعون)، وإنها متأكدة في نهاية المطاف أنها ستواجه الطاغوت الأرعن الذي يدعي الألوهية... هكذا هي المرأة إذا دخل في قلبها الإيمان بالله. فما أعظمها من امرأة وكم يفتقر مجتمعنا هذه الأيام لأمثال هذه الشخصيات العظيمة وما أحوجنا إليهم.

لم تتمالك الفتاة صبرها وقد رأت امرأة بسيطة ـ من رعاع الناس ـ من عبيد أبيها فرعون وهي تكفر جهرة بربوبيته، فخرجت مسرعة من عندها لتدخل على أبيها وتخبره بما جرى.. وبأقل من لمح البصر.. انقضت مجموعة من وحوش القصر الكاسرة على تلك المرأة الضعيفة واقتادتها أسيرة مكبلة بالحديد، وأوقفتها بين يدي فرعون!..

ثم انطلقت تلك المجموعة نفسها مسرعة كالريح لتلقي القبض على أولاد الحلاقة بلا مقدمات ودون أن يعلموا بالسبب

وجاؤوا بهم مقيدين تبدو عليهم آثار الضرب وأُحضر الجميع عند فرعون..

ما أشبه طغاة اليوم بالبارحة، ففي عالمنا اليوم أمثال فرعون من الطغاة الذين لا يحصى عددهم، وحتى على مر الزمان فإنهم كُثُرْ..

وبلا مقدمات..

انطلقت من فرعون نظرات نارية نحو الحلاقة وأولادها ثم صرخ بعدها بوجه الحلاقة بصوت خلا من كل نبرة رحمة:

- من ربك؟

فرفعت الحلاقة رأسها إليه ونظرت إليه بنظرات فيها الاستصغار له ولشأنه ولم تأخذها أية شائبة من خوف! بل بإيمانها الكبير ردت عليه:

- إن ربي وربك الله !! ..

وينطلق الغضب من عيني فرعون كما ينطلق البركان حين سمعها تجابهه بقولها: «وربك الله» فقد جعلت منه عبداً مثلها لله.. وليس رباً كما يزعم ! ..

إنه حقاً يصعب حتى على أقوى رجل أن يقف هذا الموقف الذي وقفته هذه البطلة التي قلَّما وندر أن يكون لها نظير، بل لا تعد أمثالها على عدد الأصابع في عصرنا هذا....

فراح يصرخ كالمجنون بزبانيته آمراً إياهم أن يوقدوا المصهر النحاسي، وتلك هي جهنمه التي أعدها للكافرين به...

وأشعلت النار في المصهر.. حتى اتَّقد وكأنه جمرة حمراء، وعندما تقدم فرعون وأمر بإلقاء الحلاقة وأولادها فيه، ولكنه أمر بأولادها أولاً ليستجيش بذلك عاطفتها، ولعلها تستجيب له وليبقى هو محافظاً على كبريائه وجبروته بعد أن حطّمتها هذه المرأة بصلابتها..

اللحظات الأخيرة :

ونظرت الحلاقة إلى فلذات أكبادها المكبلين بالحديد والزبانية تقتادهم لتنفذ فيهم حكم الإعدام.. وراحت الأم تلقي نظراتها الأخيرة.. وفي ساعة الوداع الأخيرة.. التفتت إلى فرعون وقالت:

ـ ولكن لي إليك حاجة!..

فانفرجت أسارير الطاغية.. وأطلق ضحكة مدوية وقد غلب على ظنه أنها ستطلب منه المغفرة لها ولأولادها حين رأت النار وهي تتقد.. فقال بكبرياء مصطنعة:

ـ سلي !

قالت.. والدموع تترقرق في عينيها:

ـ حاجتي أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفنها معاً!!!..

هكذا هي العقيدة الراسخة، إنها عقيدة لا تتزحزح، فلو كان غيرها ـ حتى الرجال ـ لطلبت العفو من فرعون، إلّا أنها أبت أن تفعل ذلك، وهكذا هو الحب في الله... فلا يرسخ

الإيمان في قلب أَحَدْ، إلّا إذا أحب الله أكثر من نفسه وأولاده وماله، وهكذا هو الحب الحقيقي..

وتنقلب الفرحة من وجه فرعون إلى حزن كئيب.. ويغور كبرياؤه ليعقبه ذل مهين بدا عليه.. ويذوب جبروته حتى بدا يشعر بحقارته.. فلقد عرفت تلك البطلة كيف تشعره بتفاهته أمامها حين اختارت هي وأولادها الموت مع الإيمان على الحياة مع الكفر.. ولكن فرعون حاول جاهداً أن يخفي انهياره فتظاهر أمامها وأمام الجلادين باللامبالاة وقال:

ـ ذلك لك.. لما لك من حق!..

وعندها رفع إصبعه مشيراً على الجلادين بتنفيذ الإعدام، وبلا رأفة..

وأمام تلك الأم.. المرأة!..

راح الزبانية الجلادين يلقون بأولادها واحداً بعد الآخر في ذلك المصهر النحاسي الذي اتقد ناراً، وهي تنظر إليهم مدهوشة.. وكان آخر من ألقوه منهم في النار طفلها الرضيع الذي انتزعوه من يديها.. فلم يرقوا لبراءته ولم يرحموا أمومتها!!.. وكادت أن تسقط من هول الفاجعة حين شاهدتهم يهمون بإلقائه في النار.. وإذا بالرضيع ينطق بقدرة الله حين هموا بإلقائه في النار:

ـ اصبري يا أماه إنك على الحق[1].

(1) قصص الأنبياء، الجزائري، ص: 260.

واستقبلت الأم (المرأة) تلك البشارة من فم رضيعها بدموع تساقطت كحبات اللؤلؤ على ذلك الوجه الذي كان يطفح بالرضا منتظراً ساعة اللقاء مع الحبيب (الله)..

وتقدم إليها الجلادون ..

فتقدمت هي إلى النار.. هرباً من كفرهم .. حتى جعلتهم وفرعونهم يتصاغرون خجلاً منها ومن ثباتها.. تقدمت بخطوات ثابتة.. وهي تتمتم بكلمات مع حبيبها الله.. والبشر يطفح على وجهها..

وكيف لا تفرح بذلك.. وها هي في طريقها إليه..

إلى الله.. مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. وحَسُنَ أولئك رفيقاً!

ثم ألقى بها الجلادون في مصهر النار..

لتجد الملائكة تقف في موكب سماوي جليل وهم ينتظرون قدومها الميمون عليهم... وقد اشتاقوا إلى رؤية تلك السيدة التي أمرهم الله أن يكونوا في استقبالها..

وراح الموكب الملائكي يعرج بروحها إلى السماء..[1] في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

وعندما انتهى فرعون من تنفيذ جريمته النكراء تلك.. رجع إلى القصر ليستريح فيه من مشاكل الكفار بربوبيته المزعومة!..

---

(1) قصص الأنبياء، الجزائري، ص: 260.

ولكنه ما إن دخل حتى وجد في القصر مصيبة كبرى.. فلقد وصل خبر إعدام الحلاقة وأولادها إلى سيدة القصر والبلاد «آسية» زوجة فرعون.. ولم تستطع آسية وقد فقدت رفيقها في الجهاد.. والتي كانت تجد عند لقائها بها السلوان والحب والكلمة الحلوة..

وها هي اليوم فارقتها لتتركها وحيدة في قصر مليء بالبهائم والوحوش من البشر والذي شهدت فيه أبشع الجرائم ترتكبها تلك الحفنة بحق الأبرياء.. فلم تستطع السكوت على مثل ذلك العمل الوحشي والجريمة النكراء..

وإن كان إعدام الماشطة في الواقع قد زاد من إخلاص آسية لله أكثر من ذي قبل بعد أن رأت بأم عينيها ـ كما ورد ذلك في الخبر ـ الملائكة وهم يعرجون بروح رفيقتها إلى السماء..

وما إن دخل فرعون عليها تبدو عليه علائم الزهو الكاذب بما صنع وقبل أن يفتح فمه ليخبرها ، صرخت آسية في وجهه الكالح:

ـ الويل لك يا فرعون.. ما أجرأك على الله!..

وإذا بهذه الكلمات الحارقة تقع على مسامع فرعون كوقع الجبل، وانقلبت فرحته إلى كآبة.. ولم يدر: أيصدق أذنيه بما سمع.. أهو في حلم؟!..

قلَّما نجدُ حتى في رؤوساء العالم من الرجال من يدافعون عن المستضعفين كما دافعت وضَحَّت آسية. لماذا؟ لأنهم

يخشون من أن يفقدوا كرسي عرشهم، ولدينا هنا وهناك أمثلة غير قليلة عن أولئك الزعماء فإنهم يخشون من الدول الكبرى وينفذون كل ما يأمرون به ، وما يفرضون عليهم تلكم الدول. . . ولكن مم يخشون. . .؟ من عرشهم الذي لا يضاهي عرش (آسية) ـ هذه البطلة ـ حيث إنها لم تفكر لا في أموالها ولا في قصورها، ولم تخش من تعذيب جلاوزة (فرعون)، ونقول بحق: أبت أن تخضع له وتخلّت عن عرشها وحليها ومجوهراتها وقصورها، وما بدلتها بالجنة الموعودة، حيث دعت ربها وقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: 11]. إنها دافعت عن (حلاقة بلاطها)، لأنها كانت مؤمنة بالله. . . . وضَحَّت بما لديها للدفاع عن رفيقتها المؤمنة في الجهاد، والتي كانت تجد وتشعر بالسلوان والحب عند لقائها بها.

هكذا هو حال المؤمنين والمؤمنات «فآسية» لم ترضَ عن فعل فرعون تجاه الماشطة المؤمنة، وهذا يدل على أن الحلاقة كانت أختها في الله، والأخوة في الله. . . تنعدم فيها الطبقية بين الحرة والأمة وبين الرئيس والمرؤوس. فأرادت أن تدافع عن أختها في الله فقالت لزوجها فرعون عندما أخبرها عن أمر الماشطة: الويل ما أجرأك على الله !. .

ولقد حار فرعون كيف يحصل هذا؟ فزوجته ـ هي الأخرى ـ تكفر بعبادته وتعترف بالله. . ولم يصدق ما سمع منها فقال مندهشاً:

ـ لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك!؟. .

فردت عليه آسية بثبات الصادقين:

ـ ما اعتراني جنون..

بل آمنت بالله.. ربي وربك ورب العالمين!

ولقد هزَّت كلمات آسية هذه (ربي.. وربك) فرعون هزاً عنيفاً جعلته يضطرب من الغضب، فهي نفس الكلمات التي سمعها من الحلاقة قبل إعدامها بلحظات عند استجوابها..

وها هي امرأة ثانية تذكره بأنه:

عبد من عبيد الله ..

ولكن هذه المرأة الثانية هي زوجته وحبيبته!...

فماذا يفعل؟...

أيبطش بها كما بطش بتلك المرأة؟!..

وتخونه شجاعته فراح يمنّي نفسه بالتريُّث في الأمر، واستدعى في الحال إلى قصره حماته ـ والدة آسية ـ وطلب منها التوسُّط في الأمر.. وأن تشرح لابنتها ـ وهنا أقسم بعزته ـ مصيرها المروع إذا هي أصرَّت على كفرها به فقال:

ـ أخبري ابنتك أني قد أقسمت بعزتي لتذوقن الموت أو لتكفرن بإله موسى!!..

وكانت أم آسية ممن تعيش للدنيا ولا تهمها الآخرة بحال فدخلت على ابنتها وحاولت جاهدة بكل ما لديها من وسائل لتقنع ابنتها بالإيمان بفرعون وأن تترك الأفكار التي يدعو إليها النبي، حفاظاً على حياتها وعرشها.. وجاهدت الأم في ذلك:

مرة تذكرها بالنعيم الذي ترفل به مع العرش والقصر.. وأخرى تحذرها من بطش فرعون وإرهابه وانتقامه وهي الضعيفة أمامه!.. وثالثة تتوسل إليها بالدموع وحق الأمومة عليها، ولكن مساعيها باءت بالفشل.

فلم تجد عند ابنتها «الإمبراطورة» غير الإصرار على إيمانها بالله .. وكفرها بفرعون التافه!..

وفي آخر محاولة حين طلبت الأم من ابنتها أن توافق فرعون فيما يريد.. أعلنت آسية بإصرار:

ـ أما أن أكفر بالله .. فلا!

وخرجت الأم وهي تجر أذيال الخيبة.

عجيب أمر هذه المرأة (آسية)، فأي امرأة في الدنيا، ليست مستعدة من أن تتنازل عن هذه النعمة التي كانت عليها (آسية).. أي امرأة تملك هذه النعمة، تنسى الآخرة وتتكبر وتتجبر..، فالمال والملك والجاه هي في أكثر الأحيان جرثومة، جرثومة الطمع الذي تُذْهِبُ الإيمان....

وبلغ الخبر مسامع فرعون: (أما أن أكفر بالله فلا).. وبدأت الأرض تتزلزل تحت قدميه، فها هي رياح الثورة بدأت تهب على فرعون من القصر نفسه، والذي أعده ليكون عرشه على الأرض...

ولم يجد من حل أمامه إلّا كتمان هذا الصوت الجديد الذي بدأ يجاهر بالإيمان. وعندما رأى فرعون تمسكها بدينها وإيمانها

خرج على الملأ من قومه، فقال لهم: ماذا تعلمون من آسية بنت مزاحم؟... فأثنى عليها القوم ... فقال: إنها تعبد رباً غيري... فقالوا: اقتلها، وهنا أود أن أقول لكل امرأة فاضلة: هل سمعت قول بطانة السوء... لقد قالوا لفرعون: اقتلها، وقبل لحظات كانوا قد أثنوا عليها بخير... سبحان الله من هذه البطانات الممتدة على مر العصور.. !!، وماذا حدث بعد ذلك؟...

وأومأ فرعون إلى الجلادين من الجلاوزة لينقضوا على آسية (المرأة) كالوحوش المتعطشة إلى الدماء... ونقلت إلى خارج القصر... حيث أمرهم أن يطرحوها أرضاً، ثم جيء بالأوتاد فأمر بتثبيتها في يديها ورجليها... وهي صابرة...

وتركت على تلك الحالة... تحت وهج الشمس اللاهب وقد وضع فوق صدرها صخرة كبيرة... وفي سبيل الله تحملت آسية العذاب ... من أجل ذلك الحبيب (الله) ... الأوتاد... تسمر يديها ورجليها في الأرض...

وعلى صدرها الرقيق الناعم الذي كانت تحليه المجوهرات والألماس التي لا تثمن... ترقد فوقه اليوم صخرة كبيرة تضيق عليها أنفاسها.

وظهرها الذي ما رقد إلا على الحرير... تحرقه الرمال اللاهبة... ووجهها الأبيض الذي يشبه القمر... بدأت الشمس ولهيبها المتوهج تحيله إلى قطعة سمراء منقشرة !! ...

هكذا أوتدوا لـ«آسية» أوتاداً وشدوا يديها ورجليها ووضعوها

في الحر اللاهب... تحت أشعة الشمس المحرقة ووضعوا على ظهرها صخرة كبيرة، لقد كانت متنعمة بالفرش الوثير وشتى أنواع الطعام... والمقام الكريم، والآن تُضرب بالأوتاد تحت أشعة الشمس...

ويقال: إن فرعون قال لزبانيته: انظروا أعظم صخرة فألقوها عليها. فإن رجعت عن قولها فهي امرأتي، ولكن لم يُفد ذلك، وأخذ فرعون يتلذذ بتعذيبها... وهذا شأن الطغاة في كل زمان.

ومع كل هذا... الجوع والعطش..

وهي الملكة المدللة... والغريب هنا أنها لم تنتحر ولم تتجرع السم للخلاص من (فرعون) وتعذيب جلاوزة الطاغية، بل إنها أرادت أن تذوق عذاباً من أجل حبها في الله... نعم صدق الشاعر الذي قال:

سرى طيف من أهوى فأرّقني والحب يعترض اللذات بالألم

وقد رقت الملائكة لحالها فكانوا يأتون إليها ـ كما ورد في الخبر ـ ليظللوها بأجنحتهم حين يذهب فرعون وجلادوه عنها، وهي تنظر إليهم مبتسمة...

فما كان حبيبها لينساها... وهي على تلك الحالة الشاقة تذكر... ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: 152].

وظل الأمر على ذلك.. حتى خارت قواها...

وإذ وصل الأمر بها مرحلة لم تطق معها العذاب...

هنالك رفعت رأسها لحبيبها تشكو إليه بقلب أضناه الشوق إليه:

- رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة!! . . .

وهنا الأدب الكبير!. . .

فآسية (المرأة). . لم تَشكُ إليه ما بها من الآلام والعذاب بل اشتكت إليه بأسلوب أظهرت رغبتها في جواره ليخلصها مما هي به. . .

فكانت بالإضافة إلى بطولتها الفذة. . . وصبرها العظيم مثالاً في أدبها ودعائها. . .

وقبل أن تتم دعاءها الذي صدر عن قلب صادق أوحى الله إليها أن:

- ارفعي رأسك ؟!. . .

فرفعت رأسها وكشف الله عن بصيرتها فأطلعها على مكانها في الجنة، وإذا بها ترى البيت الذي طلبته من الله قد بني لها في الجنة من (در) !! . . . هنالك علت على شفتيها ضحكة. . . امتزجت بفرحتها الكبرى بجوارها عند الله. . . وأسلمت روحها قائلة:

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: 11].

وراحت تصعد إلى السماء في موكب ملائكي. . . تزفّها الحور وتحف بها الملائكة وكلهم يهللون ويسبحون ويكبرون

إلى حيث الجنان... في مقعد صدق عند مليك مقتدر...

هذه هي ـ قارئتي الكريمة ـ (آسية بنت مزاحم)!... هذه هي المرأة التي ضرب بها الله ﷻ المثل للذين آمنوا...

هذه هي قصتها باختصار...

قصة المرأة التي عرفت حقيقة ثمن الجنة؟!...

فأعرضت عن فرعون... حين أحبت الله...

ورغبت عن الدنيا... حين اختارت الآخرة...

ونسيت القصور على شاطئ النيل... حين تذكرت القصور على شواطئ الجنة.

فباعت الثراء... وباعت الجاه...

وباعت الملك... وباعت الزوج !!...

وباعت القصور...

ثم باعت الحياة... وهي أغلى شيء في الحياة...

وكل هذا حبّاً لله... وإيماناً به...

من أجل هذا كله كانت آسية (مثلاً) ذكره الله تعالى في كتابه المجيد (للذين آمنوا) بربهم وقرآنهم وشريعتهم!...

وآسية التي عشنا معها الآن ـ قارئتي الكريمة ـ...

امرأة مثلك...

مثلك في الأنوثة...

ومثلك في العواطف. . . ومثلك في الصفات. . .

ومثلك في كل شيء. . .

إلّا أنها عرفت كيف تتميَّز عنك. . . .

حين استطاعت أن تحقق لنفسها انتصاراً كبيراً لم تحققه امرأة غيرها على مستوى القرآن وعلى مستوى التاريخ، وعلى مستوى الشهادة. . .

فآسية اليوم . . .

آي من القرآن يردده المؤمنون والمؤمنات في شتى بقاع العالم. . .

ما أحلى وقفات «آسية» إنها وقفة إيمانية، نجد فيها مدى إشراقة نور الإيمان في قلب هذه المؤمنة. إنها بحق امرأة وحيدة . . . آمنة مطمئنة في بلاطها تتحدى واقعاً جاهلياً يرأسه زوجها . . . لقد كانت نظرة «آسية» نظرة متعدية. . . تعدّت القصر. . . تعدّت الحلي والمجوهرات، وتعدّت الفرش الوثيرة. . . تعدّت الحياة الرغيدة، كما تعدّت الجواري. . .، لذلك كانت تستحق أن يذكرها رب العالمين في كتابه العظيم ويضعها جل وعلا مثالاً، وذلك عندما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: 11] إنها استحقت أن يضعها الرسول ﷺ مع النساء اللاتي بلغن درجة النضج والكمال، وذلك عندما قال: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل**

من النساء إلّا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإنَّ فَضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[1].

آسية المؤمنة هي السراج الثاني الذي أضيء في ظلمات قصر فرعون... والآن من يضيء لنا سراجاً يَشع منه نوراً حمل معه الصبر... الثبات... والدعوة إلى الله.

نعم حقاً، كما قال نبينا ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»[2].

وآسية اليوم...

واحدة من أفضل أربع نساء في الجنة... كما ورد ذلك عن نبينا محمد ﷺ: « **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم**»[3].

وأي انتصار هذا...

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 3411)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 6222)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1834)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 3957)، وأخرجه ابن ماجه في (الحيدث: 3280).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 6507)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 6761)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1066)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 1835).

(3) أخرجه أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 84) والطبراني والحاكم في «المستدرك» (الحديث: 2/ 497)، وصححه عن ابن عباس... كما في الدر المنثور للسيوطي، مجلد: 6، ص: 46.

حين يضرب الله بها . . . مثلاً . . .

ويشهد النبي ﷺ لها بالكمال والفضل . . .

فعنه ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلّا أربع: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد**»[1].

وكما تحدث الله ﷻ عن آسية . . .

فقد تحدث النبي الكريم ﷺ عنها كثيراً . . . وأثنى عليها كثيراً . . .

وشهد لها بالكمال . . . وبالفضيلة . . .

ولئن كنا نعرف سر هذا الحديث المسهب عن آسية من قبل نبينا الكريم ﷺ باعتبارها المثل الذي ذكره الله له في القرآن . . .

فإننا يجب أن لا ننسى أن هناك سراً آخر وراء هذا الاهتمام بـ«آسية» من قبل نبينا محمد ﷺ . . .

وقبل أن أذكر هذا السر . . .

أستسمح النبي ﷺ عذراً في ذكره فما كنت لأذيع سراً من أسرار حياته الشخصية الشريفة لولا أنه ﷺ قد تحدث عنه وأذاعه . . . إذ جاءت الرواية عن معاذ بن جبل: أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي تجود بنفسها فقال لها:

ـ «**أكره ما نزل بك يا خديجة، وقد جعل الله في الكره**

(1) مجمع البيان، الطبرسي، مجلد: 5، ص: 320.

خيراً كثيراً . . . فإذا قدمت على ضرائرك فاقرئيهن مني السلام!»

ـ وتساءلت خديجة ومن حقها أن تتساءل هنا:

ـ يا رسول الله ومن هن ؟! . . .

ـ فقال ﷺ: **«مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم، . . . وكليمة أخت موسى! . . .»**

ـ فردت عليه خديجة سلام الله عليها بابتسامة صادقة قائلة:

ـ بالرفاء والبنين . . . يا رسول الله !! . . .

وأخيراً . . .

وبعد هذا كله . . .

نقول: إن القرآن هنا قبل كل الكتب التي تحدثت عن المرأة قد جعل منها ـ أي من المرأة ـ قدوة للأجيال . . . وضرب ببطولتها وإيمانها وأدبها المثل . . . وما ذاك إلّا لأن المرأة قد عاشت لله . . .

صائنة لنفسها . . . حافظة لدينها . . . مخالفة لهواها . . . مطيعة لأمر مولاها . . .

وليس أمامك ـ قارئتي الكريمة ـ اليوم لكي تلتحقي بركب آسية . . . إلّا أن تؤمني بالله وتعملي له وقبل العمل بما يحبه الله ويرضاه . . . ارفعي يديك إليه جلّت قدرته بالدعاء واسأليه أن يجعلك . . . من المتأسيات بـ (آسية) . . . الناسيات لـ (الدنيا) . . . المقبلات على (الجنة) . . . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: 21-24].

وعلى كل عاقل أن يجعل من قصة «آسية» درساً له، إذ آمنت بنبي الله، وتحدّت إغراءات السلطة وضغوط الطاغية ـ زوجها ـ في سبيل الله، رغم تضافر العوامل المادية التي يعتبرها البعض من الحتميات، حيث كان فرعون زوجها، وكانت في الوقت ذاته من رعاياه. كانت تنتمي إلى نبي الله إسرائيل الطبقة المستضعفة والمعدمة بينما كان فرعون قائد المستكبرين والمترفين، وكانت مصالحها المادية مؤمنة عند فرعون فما الذي جعلها تتحداه وتواجه جبروته وسلطانه؟ الإيمان، إنه الإيمان الذي جعلها تتحدى كل الظروف لتكون مثلاً رفيعاً يقتدي به المؤمنون عبر التاريخ، وجبلاً لا تتأثر بإغراء ولا بإرهاب أو تضليل. ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: 11]، وهنا إشارتان لطيفتان نستوحيهما من الآية:

الأُولى: إن أعظم سبب للانحراف كانت تواجهه «آسية» هو غرور السلطان والملك، فلقد كانت زوجة لأعظم الملوك الذين عرفهم تاريخ البشرية، إلّا أنها انتصرت على قمة تحدي الدنيا للإنسان بالرغبة في نعيم الآخرة الذي يتصاغر أمامه كل نعيم، ولقد جاء في الأخبار أنها رأت قصورها في الجنة وهي موتدة تصب عليها أنواع التعذيب.

الثانية: إن هذه المرأة الشريفة لم يحالفها الحظ في الزوج الذي يرغب إليه أمثالها من المؤمنات فطلبت من الله أن تصير

إلى نعم بيت الزوجية، وكان طلبها ﴿بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: 11]، بمثابة طلب من فيه، وماذا يطيب من البيت للمرأة من دون زوج كريم؟ وإذا كان دعاؤها بهذا المعنى فلماذا لم يصرح به في القرآن الكريم؟ لعل ذلك لأن الآداب الاجتماعية عند العرب (وربما عند غيرهم أيضاً) ما كانت تستسيغ للمرأة العفيفة أن تطلب زوجاً.

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: 11].

فكانت ترفض البقاء في ظله، ويهدينا قوله سبحانه: ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾ إلى فكرة هامة هي أن الإنسان المؤمن قد ينجو بالهجرة أو بسقوط النظام الفاسد من أذى الظالمين المباشر، لكنه قد لا ينجو من أعمالهم، فإذا به يصبح ظالماً مثلهم ويعمل الفواحش ويقع في الفساد، لذلك ينبغي الدعاء للنجاة من الظلمة ومن الظلم[1].

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: 11].

وأخيراً بارك الله في كاتب القصة[2] حيث أنه أبدع في عرضها، وإن كنت أنا بين حين وآخر أعلق تعليقاً متواضعاً في هذه القصة المثيرة.

لقد أصاب الكاتب والرحالة الفرنسي (جيراردي نرفال) عندما قال: إن الإسلام قد وضع المرأة في موضع كريم،

(1) من كتاب تفسير من هدي القرآن ، الجزء السادس عشر .

(2) الشيخ نجاة النجار ، كلمات مضيئة مهداة للمرأة ، 1978 ، بتصرف .

وضرب القرآن الأمثلة للناس بالنساء الصالحات مثل: آسية امرأة فرعون ومريم أم المسيح، في حين استبعد التلمود اليهودي النساء من الطقوس الدينية، وحرَّم عليهن دخول المعبد، فإن الإسلام قد أباحَ لَهُنَّ الصلاة في المساجد[1]، وجعل الجنة تحت أَقدام الأمهات، وكرَّرَ الوصية بإكرام الأم (ثلاثاً) قبل الأب، وكرَّرَ الوصية بالنساء وإكرامهنَّ في مواطن عديدة وجعل المرأة الصالحة من أفضل الكنوز ففضلها على كل ما يكنزه الناس من مال وجاه وولد... وإلى آخره مما يملكها الإنسان في الدنيا، إذن هل يجوز القول بعد كل هذا بأن المرأة في الإسلام كائنة محتقرة؟! كما صرح بذلك العالم الاجتماعي التركي (ضياعوك ألب) (ت 1924م).

(1) رحلة إلى الشرق، (3/ 29).

الزوج ... هل يشاور زوجته ؟...

اعلم أيها الرجل أن المرأة العاقلة الناضجة تكملك وأنت تكملها، فهي إذن نصفك، ما تنجح في عمل إلّا أن تستشيرها، وهذه المشورة شاملة وتضم كل أمور حياتك في الشراء، والبيع، والتجارة، وتربية الأطفال، وتعليمهم وإلى آخره من الأمور.

اعلم أن الحياة بدون مشورة ناقصة جوفاء، والتعنت في الحياة برأي واحد إنما هي حياة وحيدة موحشة يوقعك في أخطاء جسيمة ربما لا تحمد عُقْباها...

فالمرأة العاقلة الناضجة إنما هي (طاقة) وليست (كتلة)، وفرقهما شاسع، وهو كالفرق بين قطعة من الخشب وتيار الكهرباء، ففي الأولى جمود، وفي الثاني حيوية، لذا من الغريب أن أكثر رجالنا لا يشاورون المرأة في أمورهم، لا لسبب ما، بل مجرد لكونها امرأة وهو سبب غير مرضٍ أو حجة واهية....

وقد أخطأ كثير من الرجال بعد أن استندوا إلى أحاديث موضوعة في هذا المجال ومنها: (شاوروهنّ فخالفوهن) فهذا الحديث وغيره لا صلة له بأحاديث المصطفى ﷺ وإنها مجرد روايات من هنا وهناك لا تمّت بصلة لديننا الحنيف.

وعلى الرجال أن يعلموا جيداً بأن الثقافة تربي الإرادة

وتخلق الشخصية الفعالة التي تقول الكلمة الصحيحة حسب الاستنتاج الواعي من الموقف... وليعلم الزوج أنه لا وجود للتفكير البشري خارج الجماعة.

ولعل قصة أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ وأم المؤمنين خير دليل على أن مشاورة الرجل لامرأته ذات أهمية كبيرة، وبالأحرى: إذا كانت المرأة ناضجة واعية، فقد كانت أم سلمة معروفة بالرؤيا السياسية الصائبة، ولقد روى لنا التاريخ بعضاً من ذلك، فلقد أشارت على النبي ﷺ يوم الحديبية، وذلك أن النبي ﷺ لما صالح أهل مكة، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم وفرغ من قضية الكتاب الذي ينص على ألا يدخل المسلمون مكة هذا العام، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا انحروا ثم احلقوا**»، فلم يقم منهم رجل، بعد أن كرر ذلك عليهم ثلاث مرات.

فقام رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس فقالت له أم سلمة ﵂: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ تخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك. فقام رسول الله ﷺ فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة، فنحر بدنته ودعا حالقه فحلقه.

فلما رأى المسلمون ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً.

هكذا كان موقف المرأة في الأزمات السياسية وبصيرتها في الأوقات الحرجة، وإن دلّ ذلك الموقف على شيء، فإنما يدلّ

على خبرة وحنكة هذه المرأة بالأمور . . . إذن فقد كان للمرأة في صدر الإسلام دور في الأزمات، والسياسة والتجارة وإسهام بالنصيحة والمشورة . . . هكذا كانت المرأة تلعب دورها السياسي البارز وتشارك الرجل في الأحداث وتؤثر فيها بعقلها ونضجها ووعيها . . . .

هل من الإسلام ما يفعله الناس بالمرأة من تحقير أو انتقاص في حقوقها في أُمور كثيرة؟ مَن مِنَ الناس يتناقل بعض الأفكار ويؤكد على أن المرأة ضعيفة العقل في كل المجالات؟ وأين كان ضعف عقل أم سلمة ﵂ يوم الحديبية في القصة الآنفة الذكر؟! وماذا عن أم عمارة الأنصارية ﵂ حينما ثبتت تدافع عن رسول الله ﷺ يوم أُحد بينما فرَّ رجال ورجال[1]؟! وماذا عن أُم سليم بنت ملحان في عقلها وفي حكمتها عندما خطبها أبو طلحة، ثم حين ثبتت في حُنين عندما فر رجال ورجال[2]؟ وماذا عن عقل خديجة أم المؤمنين ﵂ في مواطنها كلها[3]؟ ماذا عنهن جميعاً وعن مئات غيرهن شهدت لهن الوقائع بالعقل والحكمة. هكذا يحترم الإسلام المرأة ويصون حقوقها، ويستمع إلى آرائها ويشاورها، لا سيما إلى المرأة الناضجة الواعية.

هل النساء بحاجة للتعلم ؟

من غرس في أذهاننا أن المرأة لا تحتاج للعلم؟ أليس طلب

(1) أسد الغابة (7/ 371).

(2) أسد الغابة (7/ 345)، والسنة النبوية الصحيحة، ص: 503.

(3) أسد الغابة (7/ 78 ـ 85).

العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة؟

كثير من الجهلاء يظنون أن العلم فرض على الرجل، والمرأة لا تحتاج إليه، لقد خاب ظن أولئك الجهلة، وإنهم لا يخدمون بهذه الأقوال إلّا الرجعية والاستعمار، فهذا من سمات الاستعمار، إذ لا يريد الاستعمار أن ينتشر العلم والثقافة في دولنا لكي يستمروا في سيطرتهم الاقتصادية والعسكرية على دولنا، وليس مثل هذه الأقوال نابعة من ديننا، فديننا فرض العلم على كل رجل وامرأة.

وإن نبينا محمد ﷺ فضّل الجلوس في مجلس العلم على الجلوس في مجلس الذكر.

فقد أخرج ابن عبد البر في جامع العلم (1/ 50) عن عبد الله ابن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده: أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلّمونه، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا المجلسين على خير، واحدهما أفضل من الآخر صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلّمون الجاهل، وإنما بُعثتُ معلّماً**». (ثم أقبل فجلس معهم) ـ أي جلس في مجلس العلم ـ وأخرجه الدارمي ونحوه.

هكذا كان الرسول ﷺ يحثّ على العلم والتعليم ، فأعداء الدين كالحشرة في باطن الثمرة فتجوفها، إنهم يريدون أن يفرغوا الإسلام من محتواه الاعتقادي والعلمي والخلقي، حتى

يمسي قشرة فارغة محكوماً عليها بالفناء: وهكذا بالإسلام يكيدون، فإن لهم خططاً خبيثة: يغسلون أدمغة أجيالها الناشئة، فيفرغون قلوبهم ونفوسهم من محتوياتها، ذات الجذور المتأصلة من الخلق والوجدان والعقل وينتزعون كل آثارها. ومن وسائلهم الماكرة في هذا المجال هو الفصل بين علوم الدين وعلوم الدنيا، في الوقت الذي نرى أن كل العلوم من الفيزياء والكيمياء والطب وغيرها هي من عند الله، أليس علم الفيزياء موجوداً في الطبيعة أصلاً؟ أم خلقه العلماء؟ كلا... فإن هذا العلم موجود والعلماء يفتشون عنه، وكذلك علوم الكيمياء، فالعناصر الكيمياوية ومركباتها بكاملها موجودة في الكون، وعلماء الكيمياء يفتشون ويبحثون عنها، ومعظم الأدوية موجودة في النباتات ويستخلصها العلماء والصيادلة فيستخدمونه كدواء للأمراض. وكذا علوم الدين كلها من عند الله، إذن من الذي أوهمنا أن علوم الطبيعة هي خارج الدين، إن ذلك من وسائل أعداء الدين وهي خطة رامية لتحقيق غاية التفريغ الذي ذكرته آنفاً، وأن تلك المحاولات تهدف إلى إبعاد وعزل الأجيال الناشئة في المجتمعات الإسلامية عن كل وعي ديني وعلمي سليم، ومقاصدهم في ذلك هو أن لا يتعرفوا على الإسلام وتعاليمه بصورتها الصحيحة المشرقة. وقد أدت هذه الظاهرة إلى عزل طلاب علوم الدين عن الدراسات التي تتعلق بعلوم الطبيعة عزلاً تاماً، فهذه العملية إنما أذابت الأخوة العريقة بين الفريقين.

ولا يخفى على أحد منا أن العلم مهما كان أسلوبه وطريقته إنما هو بحث عن الحقيقة ولا عداء بين الحقائق، وبين الحقائق وئام تام، أما العداء ـ لا ريب فيه ـ وأنه موجود بين الحق والباطل، وبين الصدق والكذب.

وهذا التصرف الخبيث والذي يروم الفصل بين الدراستين في معظم بلادنا الإسلامية جعلنا بعيدين كل البعد عن كل مجال علمي حيوي إلّا مجال المساجد وما يكون فيها من عبادات، أو بعض الوظائف ذات الاختصاص الديني. وما فعلوا ذلك إلا لكي تجد الأمة نفسها مضطرة لاقتباس حياتها وبكافة مجالاتها من العلوم من تلكم الأنظمة المستوردة من بلاد لا صلة لها بالدين، ولا تعترف بشريعة الله، وبذلك يكون قد تحقق هدف الغزاة من غزو أفكارنا وغزو سلوكنا والسيطرة على ثرواتنا... ولنعدْ إلى حق الأنثى في العلم، فالرسول ﷺ يقول في هذا الشأن: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»[1] فقد اتفق العلماء أن كل ما يطلب من الرجل تعلمه يطلب من المرأة كذلك[2].

هل نسينا أن أمهات المؤمنين كن مبلغات عن رسول الله، ومبلغات للرجال، يسألونهنّ ما لا يجدون عند الرجال، يقول

(1) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: 10/ 240).

(2) المرأة بين الفقه والقانون، الدكتور مصطفى السباعي، ص: 21، طبعة 2003.

تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 34].

وأود أن أُذَكِّرَ القارئ الكريم: أن المعرفة (أقصد بها العلوم الطبيعية) التي نتلقاها في مدارسنا وحدها (دون علوم الدين) تسَبب لنا الشقاء والدمار في كثير من الأحيان، وأن تلك المعرفة لوحدها قد تكون أداة للتخريب والطغيان أكثر من أن تكون أداة للإعمار والعدل ـ إذا فصلناها عن علوم الدين ـ . وهكذا نرى اليوم كيف انقلبت الحياة الدنيا إلى جحيم لا يحتمل، فإذا فهمنا الدين فهماً صحيحاً في المدارس والجامعات فإنه من دون شك سيبعدنا ذلك كثيراً مما نحن عليه من آثار الدمار والتفرقة، وحتى يبعدنا عن الفروقات الطائفية والعرقية إذ نتلقى من تلك المعرفة (علوم الدين) كيف أن الصغير يحترم الكبير ونتعرف على حقوقنا ذكراً أم أنثى وبالتفصيل، حيث أن تعاليم ديننا جعلتنا نتقن وسيلة التفاهم، وطرق التأثير على القلوب ليس فقط بيننا بل وحتى مع من هم من غير ديننا، كذلك يعلمنا كيف نتعامل مع الآخر ومتى نستخدم السلاح، ومتى نحارب العدو، وكيف نتصرف في الحروب. بقيم ديننا الحنيف نستطيع أن نغزو كل ناحية من نواحي أُمتنا حتى تشع في أبناء شعبنا الروح العالية، داعية إلى الخير بكل أفعالها وأقوالها وأخلاقها.

ولا بد من سائل يسأل: هل حرم ديننا المرأة من تعليم العلوم ابتداءً بالكيمياء والفيزياء وعلم الفلك والهندسة والطب؟ يكفينا الإجابة عن هذا السؤال قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ

قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران: 191].

إن النصوص الإسلامية التي وجه فيها الخطاب للرجال هي موجهة للنساء أيضاً، وفي كل الأحكام والعظات والتكاليف وأنواع التربية الإسلامية لم يكن مضمون الخطاب مما يتعلق بخصائص الرجال التكوينية، ما لم يصرح في الخطاب بأنه خاص بالرجال دون النساء.

إن علوم الدين تسعد الإنسان في الحياة، وإن الإسلام يوصي بتعلمها قبل الكسب، لماذا؟ لأن من دونه، سيكون هناك خيانة، رشوة، سرقة، كذب في الكسب، وفي كافة مجالات الحياة، والإسلام جملة وتفصيلاً ينهى عن كل ذلك. إذن إذا تعانق العِلمانِ (علوم الدين والدنيا) ـ ولم يفترقا ـ فإنهما يسعدان الإنسان في الحياة سعادة منقطعة النظير....، فخُلقٌ وعلم وسعادة وتقدم وحضارة.

وإن كان للقيادات التي تقود البلاد في العالم دين ـ ولا أستثني منهم بعض قيادات الدول العربية والإسلامية ـ لما وصل العالم ـ وشرقنا خاصة ـ إلى ما وصل إليه الآن. فكم أدى البشر ضرائب من ضحايا ودماء، وأعراض، ودموع، وأموال وديار،.... من جراء قيادتهم المنحرفة؟

وهل يعادل هذا بذاك؟ وكم لنا ـ أمثلة في عصرنا الحاضر عن طغاة فاقوا فرعون في طغيانهم. ـ هذا مع غض النظر عن كون الاختراعات هي وليدة أفكار طيبة وليس فيه جدل ـ إلّا أن

هو مُنْصب في القيادات الغاشمة الذين سُلِبَ منهم الإيمان. . .

نعم إن القيادات الغاشمة استغلوا الاختراعات لا للبناء والتعمير، إنما استغلوها للهلاك والتدمير، هكذا أوقعوا ـ هذه القيادات ـ البشرية في دوامة الحروب والثورات والفتن والقلاقل وأوقدوا فيها نار الكراهية والحقد والبغضاء، حتى أصبح كل أخ عدو أخيه، بعدما أخمدَ الرسل والأنبياء والمصلحون نيران النفوس المشتعلة بجهدهم المتواصل وعملهم الدؤوب.

وإن حُسْن الخُلق الذي هو من تعاليم الدين وهو من الفضائل الإنسانية، ويُعدُّ من أمارة الكمال البشري في أرقى مراتبه، حتى لم يُوصَفُ النبي ﷺ إلا بها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 4]، في معرض مدحه وبيان فضله، وإنَّ خُلو المجتمع من القيادات الغاشمة يتبعه غالباً خُلوه من شراسة الأخلاق وَضِعَة السلوك، وإن المجتمعات التي يروقك شرف معاملاتها، وجمال آدابها، وصدق اتجاهاتها، هي هذه المجتمعات التي تأصَّل فيها العلم، وسادتها العافية، وتقاربت فيها العقول، وتساوت فيها الحقوق، وأمكن فيها التفاهم والتعارف. والتعلم فضيلة طالما أطنب الدين في مدحها حتى جعل منزلة العالم بين العباد، كمنزلة البدر بين سائر الكواكب! وحتى جعل فضل العالم تشهد به الطيور في الجو والحيتان في البحر!

فإذا ما نظرنا إلى أكثر قيادات الدول الغربية نرى شموخ التقدم العلمي الهائل في بلادهم، ولكن هل تحركهم (غالبية

الشعب) لدرء حروب تقوم بها حكوماتهم وتؤدي إلى سفك دماء الأطفال والنساء وقتل الشيوخ والعجائز؟ ولِمَ كلُّ هذا؟ لأنه لا دين لهم، فيخدعون شعوبهم بحجج واهية ويقنعونهم لتدمير البلاد وسلب الثروات. لو كان لحكامهم (وشعوبهم) دين لما فعلوا ذلك، فديننا لا يقبل سفك دم، ونهب ثروات، وسرقة نفط... إلخ، فالسرقة جريمة اجتماعية خلقية كبيرة، رتب عليها الدين عقوبة دنيوية، فالعقاب هنا ليست به شائبة ما دام القصد من تنفيذه، تأمين الحقوق، وصيانة الجهود، وتوجيه الناس إلى العيش من كسبهم الحلال، لا السطو على كسب غيرهم والعيش به من حرام، فلو كان لدول الغرب دين لم يسطوا على كسب غيرهم والعيش به من حرام، إذن فعلوم الدين والالتزام بها تقي الإنسان والشعوب من السطو على ثروات الشعوب.

إلّا أن الاستعمار يهمه المال والاقتصاد ويسرقها من الشعوب الغنية، بحجج إنقاذ الشعوب من سطوة طاغية ـ لا دين له ولم يلتزم مثقال ذرة بمبادئه ـ وفي الحقيقة إذا ما قرأنا كتب التاريخ بدقة نرى أن الاستعمار هو الذي نصب كثيراً من الطغاة حكاماً على تلك الشعوب، إذن من تفقه بعلوم الدين لم يفعل ذلك، فالاستعمار لا دين له، ولو كان للطغاة إيمان وعلم بدينهم لما طغوا، فالإسلام إذ يبني عالماً يمتزج فيه الدين والدنيا، لخير الإنسانية ومستقبلها، فيربي امرأة تعرف واجباتها تجاه زوجها وشعبها وأولادها وحتى تجاه شعوب أخرى... فالمرأة التي تتعلم أمور دينها وكذلك دنياها هي المرأة الناضجة، فما الذي دفع بنت عمارة أن تدخل معركة أُحُدْ؟... في

الجواب نقول: الأخلاق الإسلامية التي كانت تمتلكها، كانت سبباً لجعل هذه المرأة بطلة مناضلة. . . .

وعن عمر ﷺ قال: لا بيع في سوقنا هذا إلّا من تفقه في الدين. أخرجه الترمذي، كذا في الكنز (2/ 218).

هذا وقد رحب الرسول ﷺ بطالبي العلم: أخرج الطبراني[1] وأحمد[2] عن صفوان بن عسّال المرادي ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على بُرد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال ﷺ: «**مرحباً بطالب العلم**».

فالعلم الذي ينادي به ديننا هو جميع العلوم وحتى علوم الفضاء، لقوله جلّ وعلا: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]، وإن الله تعالى في هذه الآية يُخاطب بني البشر ذكوراً كانوا أم إناثاً حينما يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ سيريهم ماذا؟ سيريهم بعض أسرار الكون. . . بفضل العلوم التي وهبها إياهم، هل نسينا الرحلات الفضائية والآفاق الجديدة عن الكون والفضاء وكيفية تكون الأرض وعلاقتها بالقمر؟ وكيف استطاع بعض الدول إنزال الإنسان على سطح القمر؟ وهذه التجارب ـ مع الأسف ـ كان علينا أن نقوم بها، ولكن مع ذلك قام بها آخرون ـ من غير ديننا ـ والآية الآنفة الذكر هي إثبات بأن لهذا الكون خالقاً عظيماً، عليم حكيم

(1) «المعجم الكبير» (الحديث: 8/ 64).

(2) «مسنده» (الحديث: 4/ 239).

قوي، وإن نظرية خلق الكون عن طريق (الصدفة) هراءٌ!، ودليلنا على ذلك، الآية العظيمة الآنفة الذكر. فلم يكن بإمكان أحدٍ أن يتصور قبل قرون عن منجزات العلم الحديث، حيث وصل حداً إلى الكشف عن أجرام وكواكب في مجرات غير مجرتنا وأنهم كُلَّما فتحوا باباً ولجوه ليجدوا آخر فيفتحوه.

إذن العلوم موجودة، وما على العلماء إلّا اكتشافها. ماذا فعل العالم (أينشتاين) صاحب النظرية النسبية... ؟ في الواقع أنه لم يفعل شيئاً سوى أنه اكتشف (النظرية النسبية)، وهي موجودة أصلاً في كوننا وبنظام الكون. إذن هل اخترع أينشتاين في عالمنا شيئاً؟ كلا... بل اكتشفه ... وهل العلماء الباحثون اخترعوا؟ كلا... لقد اكتشفوا وليسوا مخترعين، فالباري ﷻ إنما وضع نظاماً للكون فأحسن نظامه، وما قاله (أينشتاين) هو: (العلم بدون دين أعرج).

كذلك الذرة، فاكتشافها من قبل العلماء هو التتبع والدقة، فهي موجودة، ولم يخترعها العلماء...

إذن علوم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والهندسة والفلك، ما هي إلّا من ناتج نظام الكون الذي وضعه خالقنا جلَّ وعلا لكي نرى بدائعه، ونحن كبشر نقع ضمن هذا الإبداع العظيم.

وأكرر مرة أخرى بأن علوم الدنيا بغير علوم الآخرة ناقصة، فعلوم الدين أخلاق وتنظيم للأمور ونبذ للعنف، حماية الأبرياء من الدمار، ولكي نوضح ذلك على سبيل المثال وليس الحصر، فالأسلحة التي تم تصنيعها جميعاً بعلوم العلماء في هذا العصر

ابتداء من الطائرات والدبابات والأسلحة الكيمياوية، والقنابل العنقودية، استخدمت لماذا ولمن؟ استخدمت في بلاد كثيرة لتدمير قراها ومدنها وساكنيها، وهذه حلبجة في كردستان العراق أبيدت عن بكرة أبيها وقتل فيها أكثر من (5000) كردي بالأسلحة الكيميائية، فما ذنب هؤلاء الأبرياء؟! فلو كان للطاغية الذي يحكم العراق دين، لما فعل ذلك لأن قتل نفس بغير ذنب جريمة، وتدمير المزارع والمساكن وقتل الأطفال والنساء والشيوخ لا يقبل الدين بها ويحرمه تحريماً كلياً، إذن هنا في حالة حلبجة استخدم نتاج العلم الذي أوجده علماء العالم من كيمياويات حارقة وقنابل وطائرات موجهة ومزودة بعلوم الكومبيوتر في تدمير البشرية، ولكن لو كان للطغاة والحكومات دين، أو لو كانوا محيطين بعلوم الدين وملتزمين بها لما فعلوا ذلك ، إذن الالتزام بعلوم الدنيا ناقص لوحدها إلّا إذا اقترنت بتعاليم الدين أو علومها، ربما يظن البعض أني قد ذهبت بعيداً عن صلب موضوعي، ولكن أقول: لا.... فإن قصدي هو أن العلم الذي حثنا عليه الكتاب والسنة ـ رجالاً ونساءً ـ هو ليس علم الدين فقط بل علوم الدنيا برمتها وحتى (السحر)، حيث يقول الرسول ﷺ: « **تعلم السحر ولا تعمل به**»، **وقال** ﷺ: «**اطلبوا العلم ولو في الصين**»[1]، فالعلم الذي أوصانا به ديننا هو العلم النافع، فالمرأة التي تشتغل في مزرعة زوجها عليها أن

(1) ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (1/ 98)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: 28697).

تتعلم أن السماد الفلاني هو لإكثار الخضار والآخر لإكثار الثمار، وعليها أن تعلم مضار وفوائد المبيدات الحشرية، وأن هذه العلوم ليست منحصرة في الرجال فقط.

كما أن إعداد المستطاع من القوة يأتي عن طريق العلم، فكان خيراً لنا ـ كمسلمين ـ أن نلمَّ بالصناعات المختلفة العسكرية والخدمية، ... إلخ.

ورب سائل يسأل: لماذا نصنع السلاح، وآنفاً ذكرنا أن به ندمر الشعوب، نعم السلاح يستخدم للدفاع عن النفس ولإعلاء كلمة الدين، ويكون اللجوء إلى هذه الوسيلة في آخر الأمر، عندما لا تجد كل الوسائل السلمية في إبعاد نار الحرب. إذن فالسلاح واستخدامه هو لا لإبادة الشعوب، ولا لاستعمار الشعوب والسيطرة على ثرواتهم الطبيعية من النفط وغيرها، بل لإعلاء كلمة الله، قال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» رواه الخمسة[1]...، فمع الأسف أننا ضيّعنا الدين والدنيا، لا علم لنا ولا سلاح، وسيطر الاستعمار علينا بشتّى الوسائل التي كان علينا أن نمتلكها قبلهم؛ لأن الدين أمرنا بذلك وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: 60] تأكيداً لذلك.

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 2810)، وأخرجه مسلم في (الحيدث: 4896)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 2517)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1646)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 2783).

هذا وبعد ذكر العلوم الطبيعية ـ بشتّى فروعها ـ وفوائدها للبشرية جمعاء، فإن الإسلام بصورة عامة قد أتاح التعلُّم للمرأة كما أتاح للرجل في عهد النبي ﷺ، وهو أمر بديهي ومبني على تساويهما أمام التكليف الشرعي والجزاء الأخروي.

وإذا تتبعنا ما في القرآن من الآيات، والأحاديث العامة التي رفعت من شأن العلم والعلماء فإن تلْكم الآيات والأحاديث تنطبق على النساء كما تنطبق على الرجال سواء بسواء... وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: 9]، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11].

وقوله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**».

ولا نبالغ أبداً إن قُلنا أننا لا نجد كتاباً حرص على العلم واهتم به كالقرآن العظيم، ودليلنا على ذلك هو الكلمة الأولى في وحيه ﴿ٱقْرَأْ ۝١﴾ [العلق: 1]، وهناك ما يزيد على ألف آية تحض على العلم، بعضها يرفع من شأن العلم والعلماء، وبعضها يعيب على الذين لا يستخدمون عقولهم في النظر والتعلم والسير في الأرض، وفحص الحقائق فيها وفي الكون، والتَّفَقُّهِ في الأشياء، والوصول فيها إلى علم يقيني بعد الظن

والخرص (التقدير الجزافي) والوهم والشك وهوى النفس[1].

فلا دين ولا مذهب في الحياة دفع الإنسان وحثّه على العلم كما دفعه وحثه إليه الإسلام، وكما قلنا فإنه دفع الإنسان بشطريه الذكر والأنثى إلى مجالات العلم المختلفة وبكل قوة، إعلاناً منه أن السبيل إلى معرفة الله والإيمان به، والاستسلام لشرائعه العظيمة إنما هو طريق العلم.

ولما كان العلم هو الطريق الذي ينير للإنسان معرفة الله والإيمان به، وهو الطريق إلى معرفة الأحكام الشرعية التي يكلف بها الإنسان ذكراً كان أو أنثى، كان على هذا الأساس واجباً حتمياً على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ما يهديه إلى هذه الأمور المسؤول عنها مسؤولية شخصية أمام رب العالمين. إذ بالعلم يُميز الإنسان بين الحق والباطل والخير والشر، والنفر والضر، لهذا أمرنا رب العزة بالعلم.

إذن أين المغرضون الذين يقولون: إن الإسلام لا يشجع على تعليم المرأة؟ إن ذلك محض افتراء ظاهر وعلني على الإسلام.

---

(1) مكانة المرأة في القرآن والسنة الصحيحة، د. محمد بلتاجي، 2000، ص: 322-323، بتصرف.

المصادر العربية:

1 ـ شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة. تأليف الدكتور محمد علي الهاشمي 1996.

2 ـ الفتوى ـ العدد 76 ـ 1999، ص: 23.

3 ـ الفتوى ـ العدد 79 ـ 1999، ص: 22، مقالة للسيد نجاة جبار.

4 ـ الفتوى ـ العدد 77 ـ 1999، ص: 23، مقالة للسيد نجاة جبار.

5 ـ الفتوى ـ العدد 72 ـ 1999، ص: 22 مقالة للسيد ناجي عبد الله محمد المرسي ـ رئيس تحرير جريدة التجديد في اليمن.

6 ـ الفتوى ـ العدد 74 ـ 1999، ص: 13، مقالة أعدها عبد الهادي الزبيدى، وبتصرف من المؤلف.

7 ـ الفتوى ـ العدد 65 ـ 1998 ، ص: 19.

8 ـ الاحتشام تقتضيه الفطرة ـ بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي.

9 ـ أجنحة المكر الثلاثة ـ تأليف عبد الرحمٰن حبنكة الميداني، 1980.

10 ـ كلمات مضيئة مهداة إلى المرأة، الشيخ ناجي النجار، 1978.

13 ـ نداء الروح، للدكتور فاضل صالح السامرائي.

obeikandl.com

14 ـ تعدد الزوجات في الإسلام، كيف؟ ولماذا، 1990، تأليف: رعد كامل مصطفى الحيالي.

15 ـ الإسلام والأسرة، معوّض عوض إبراهيم.

16 ـ حمدان، عنان، (1996). إيذاء الإناث في الأسرة الفلسطينية: دراسة اجتماعية ميدانية على عينة من الأسر في لواء طولكرم. رسالة ماجستير غير منشورة في الجامعة الأردنية. عمان. الأردن.

17 ـ عبد الوهاب، ليلى (1994). العنف العائلي: بيروت. لبنان. دار المدى للنضر والثقافة.

18 ـ العلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة الجزء الأول، جلد 1 ، ص: 237، 2003.

19 ـ المرأة بين الفقه والقانون، للدكتور مصطفى السباعي، طبعة 2003.

20 ـ مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، د. محمد بلتاجي، 2000.

21 ـ الحرية الإسلامية، محمد الحسيني الشيرازي، 1989.

المصادر الأجنبية:

1 - Hage, S. and Bushway, D. (2000) Posttraumatic stress disorder in women who are battered: Risk and protective factors. Manuscript Submitted for Publication.

2 - Davies, J. (1998). Safety planning of battered women. Copied by Sage Publication, Inc.

3 - Matlin, M. (2000). The psychology of women. (thed4) Harcourt College Publishers V.A.E.

4 - Walker, L.E.A. (2002). Abused women and survivor therapy: A practical guide for the psychotherapist. (thed4) Washington, DC: American Psychological Association.

5 - Knickrehem, K. and Teske, R. (2000). Attitudes towards domestic violence among Romanian and U.S. University students: A cros - cultural comparison. Journal of Women and Politics, 21(3), 27 - 49.

6 - Holtzworth - Munroe, A., Smutzler, N., Bates, L. and Sandin, E. (1997). Husband violence: Basic facts and clinical implications. In: W. Halford and h. Markman.

7 - Browne, K. and Herbert, M. (1997). Preventing family violence. sted. England: john Wiley and Sine Ltd.

ـ أخذت المصادر الأجنبية من كتاب الدكتورة سهيلة محمود بنات.

obeikandl.com

من مؤلفات المؤلف:

1 ـ أمراض العصر، أسبابها والوقاية منها بالغذاء.

2 ـ العلم والإعجاز.

3 ـ الكيمياء الحياتية التطبيقية.

4 ـ نفحات من القرآن والسنة.

5 ـ كتاب عن الغذاء، باللغة الكردية.

6 ـ بحوث مقارنة بين العلم الحديث والكتاب والسنة.

7 ـ المعجزات الثلاث. الشاي الأخضر والخميرة وخل التفاح.

8 ـ الإعجاز القرآني في الوجود الكوني ـ دراسة مقارنة.

9 ـ التفسير الدقيق لكيمياء وتفاعلات الأحماض الأمينية والبروتينات.

10 ـ الغذاء المدهش.

11 ـ المرأة الحنونة وعظمة هذا الدين. وهو هذا الكتاب.

obeikandl.com

المؤلف

الأستاذ الدكتور دلاور محمد صابر:

ـ أستاذ الكيمياء الحياتية والطبية في جامعة صلاح الدين.

أربيل ـ إقليم كردستان ـ العراق.

ـ مختص في علم الأنزيمات والهرمونات.

خريج ألمانيا ـ جامعة شتوتجارت.

obeikandl.com